

أعضاء البيان

@ 156 @ .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { وَلَا هُمْ مِّنْ ذَا يَصْحَبُونَ } أي يجارون : أي ليس لتلك الآلهة مجير يجيرهم منا . لأن [] يجير ولا يجار عليه كما صرح بذلك في سورة { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } في قوله : { قُلْ مَن يَبِيدُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } . والعرب تقول : أنا جار لك وصاحب من فلان . أي مجير لك منه . ومنه قول الشاعر : قُلْ مَن يَبِيدُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } . والعرب تقول : أنا جار لك وصاحب من فلان . أي مجير لك منه . ومنه قول الشاعر : % (ينادى بأعلى صوته متعوّذاً % ليصحب منا والرماح دواني) % . يعني ليجار ويُغاث منا . وأغلب أقوال العلماء في الآية راجعة إلى ما ذكرنا . كقول بعضهم { يَصْحَبُونَ } يُمنعون . وقول بعضهم يُنصرون . وقول بعضهم { وَلَا هُمْ مِّنْ ذَا يَصْحَبُونَ } أي لا يصحبهم [] بخير ، ولا يجعل الرحمة صاحباً لهم . والعلم عند [] تعالى . قوله تعالى : { بَلْ مَتَّعْنَاهُمَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ } . الظاهر أن الإضراب . { بَلْ } في هذه الآية الكريمة انتقالي . والإشارة في قوله { هَؤُلَاءِ } راجعة إلى المخاطبين من قبل في قوله : { قُلْ مَن يَكْلَأُ وُكُومَ بَالِيسٍ وَالَّذِي هَارَى مِنَ الرَّحْمَانِ } ، وهم كفّار قريش ، ومن اتخذ آلهة من دون [] . والمعنى : أنه متّاع هؤلاء الكفار وآباءهم قبلهم بما رزقهم من نعيم الدنيا حتى طالت أعمارهم في رخاء ونعمة ، فحملهم ذلك على الطغيان واللجاج في الكفر . وما تضمنته هذه الآية الكريمة : من أنه تعالى يمهل الكفار ويملي لهم في النعمة ، وأن ذلك يزيدهم كُفراً وضلالاً جاء موضحاً في مواضع كثيرة من كتاب [] تعالى ، كقوله : { وَلَا يَحْسَبِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن زُمَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لَّانَفْسِهِمْ إِن زُمَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } ، وقوله تعالى : { سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمَلِّى لَهُمْ إِنَّا كَيْدِي مَتِينٌ } ، وقوله تعالى : { قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا } ، وقوله تعالى : { بَلْ مَتَّعْتُمْ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ } .

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ {
والآيات بمثل ذلك كثيرة . والعمر يطلق على مدة العيش . قوله تعالى : { أَفَلَا يَرَوْنَ
أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ رُضًا نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ } .